الشبهة الأولى

يقطع القرآن الكريم بانتفاء وجود التناقض فيه.. ويجعل انتفاء وقوع التناقض فيه دليلا من الأدلة على ألوهيته، وعلى أنه من لدن حكيم عليم، لا يقع التناقض فيما يصدر عنه -سبحانه وتعالى- ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

● ويأتى الذين يزعمون وقوع تناقضات فى القرآن الكريم فيقولون: لقد قطع القرآن بأنه ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] وأنه ﴿لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].. ثم ناقض ذلك، فتحدث عن تبديل آية مكان آية: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١].. كما تحدث عن وقوع نسخ لآية: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

●●●

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

لقد وقع الذين توهموا حدوث تناقض بين نفى التبديل لكلمات الله.. وبين تبديل الله آية بآية، أو نسخه لآية من آياته.. وقعوا فى

خطأ لا يقع فيه من له حظ فى معرفة لغة العرب ومضامين مصطلحات القرآن الكريم.. ذلك أن مصطلح «آية» -الذى ورد بهذه الصيغة فى أربع وثمانين موضعًا بالقرآن الكريم- لا يراد به الكلمة أو الجملة فى القرآن الكريم، وإنما يراد بـ«الآية»: العلامة والمعجزة التى يظهرها الله على أيدى الرسل والأنبياء، علامة على صدق دعواهم النبوة والرسالة.. وهذه المعجزات -الآيات- تتغير وتتبدل، وينسخ بعضها بعضًا وذلك تبعًا لمقتضيات الزمان والمكان والتحديات التى تواجه الرسل والأنبياء..

أما كلمات الله فى القرآن الكريم.. أى آياته وسوره، فهى ثابتة خالدة لا يصيبها التغيير ولا التبديل.. فكلمة «آية» -فى القرآن الكريم- تعنى المعجزة -وهى متغيرة بتغير التحديات التى تواجه الأنبياء والمرسلين-.. أما كلمات الله ووحيه فى القرآن الكريم، فهى قديمة ثابتة خالدة، لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل.. وبعبارة علماء الأصول: «فإن ما ثبت قدمه -من الآيات والأحكام القرآنية- استحال عدمه بأى حال من الأحوال».

ولو نظر الذين توهموا حدوث التناقض بالقرآن الكريم فى سياق آية سورة البقرة: ١٠٦ ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ لرأوا أن الحديث فيها عن المعجزات، التى كانت مادية فى النبوات والرسالات السابقة على رسالة الإسلام.. وأن المشركين قد طلبوا من

رسول الإسلام ﷺ أن يأتيهم بمعجزات مادية من جنس معجزات الأنبياء السابقين.. كانوا يسألونه مثل ما سأل بنو إسرائيل موسى -عليه السلام- ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨] -﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا (٨٩) وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٨٨- ٩٣].. كان المشركون يريدون معجزات مادية كمعجزات الرسل السابقين، فقال لهم القرآن الكريم: إن العليم القدير، الذى شاء أن تكون معجزة القرآن عقلية، هو الذى يختار آية -معجزة- مكان آية -معجزة- وذلك وفقًا لمقتضيات تطور العقل البشرى والتحديات التى تواجه الأنبياء والمرسلين، ووفقًا لعموم الرسالة الخاتمة وخلودها.

● أما توهم أصحاب هذه الشبهة، وقوع تناقض بين الحفظ الإلهى للذكر الحكيم -القرآن الكريم- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].. وبين «محو» الله لما يشاء ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

فالمحو والتغيير والتبديل -الذى تشير إليه آية الرعد: ٣٩ -لا علاقة له = بكلمات الله وآياته- فى القرآن الكريم- والتى أكدت آية الحجر حفظها من أى تغيير أو محو أو تبديل -. . وإنما «المحو»- الوارد الحديث عنه فى آية الرعد -مراد به محو معجزة رسول سابق بمعجزة رسول لاحق، لتغير الملابسات والتحديات والمقتضيات. . ولو قرأ الذين توهموا حدوث تناقض بين حفظ الذكر الحكيم وبين هذا «المحو» -الذى تحدثت عنه آية الرعد - لو قرأوا السياق الذى جاءت فيه هذه الآية، لعلموا أن الحديث هو عن المعجزات. . وليس عن كلمات الله وذكره الحكيم المحفوظ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ**﴾ [الرعد: ٣٧، ٣٨]. . فكل آية -معجزة- يأتى بها رسول إنما هى بإذن الله. . ولكل معجزة من معجزات الرسل الذين سبقوا أجل وزمن متعلق بأمة الرسول وتحديات رسالته. . والله الذى جاء بالمعجزات المادية لرسل الرسالات السابقة -فى طور طفولة العقد البشرى- هو الذى محا هذا اللون من الإعجاز، عندما بلغت الإنسانية سن الرشد، فاختار للرسالة الخاتمة هذا القرآن -المعجزة العقلية، والمتضمنة -أيضًا- لمضمون الرسالة ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا**﴾ [الرعد: ٣٧]. . فالسياق يتحدث عن المعجزات المادية، التى محاها الله، واستبدلها بإثبات المعجزة القرآنية العقلية. . ولا علاقة لذلك بالحفظ القائم والدائم للذكر الحكيم.

الشبهة الثانية

تدعى حدوث تناقض فى القرآن الكريم بين آية السجدة: ٥ «التى جعلت مقدار اليوم -فى التدبير الإلهى لأمر السماء والأرض- ألف سنة: ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ** ﴾ [السجدة: ٥]. . وبين آية المعارج: ٤ -التى تتحدث عن عروج الملائكة والروح فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ [المعارج: ٤].

●●●

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن «اليوم» -فى عالمنا نحن البشرهو وعاء لقياس الزمن، مقداره أربع وعشرون ساعة، وفى هذا اليوم «النهار» هو وعاء لقياس جزء من زمن اليوم «وليل» هو الآخر وعاء لقياس جزء من زمن اليوم. ومع وحدة مصطلح «النهار» ومصطلح «الليل»، فإننا نرى، فى عالمنا نحن البشر، تفاوتا فى زمن «النهار» وزمن «الليل» باختلاف الزمان والمكان على ظهر الكوكب الذى نعيش فيه. . فزمن النهار عند خط الاستواء مختلف عنه عند القطب الشمالى أو القطب الجنوبى. . وكذلك الحال مع زمن الليل -عند اختلاف المكان على سطح الأرض-.

وإذا كان هذا أمرًا متعارفًا عليه، وواقعًا ملموسًا ومعيشًا فى اختلاف زمن النهار والليل، مع وحدة المصطلح -الذى هو وعاء الزمن- فمن باب أولى اختلاف زمن «اليوم» فى عالم الغيب، وفى عملية الخلق الإلهى والتكوين والتدبير لهذا الوجود» وأيضًا فى عالم الملائمكة -الذى هو من المغيبات..

ولقد ورد مصطلح «اليوم» -مفردًا ومثنى وجمعًا- مجردًا ومضافًا- فيما يقرب من خمسمائة آية قرآنية..

وليس هناك عاقل يقول بضرورة أن تكون الوحدة الزمنية لوعاء «اليوم» واحدة فى كل عوالم الغيب.. والملائكة.و الخلق.. والتكوين.. ذلك أن الكُنة والحقيقة لمضامين مصطلحات عوالم الغيب هى مما اختص الله -سبحانه وتعالى- به ذاته العلية ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**﴾ [الأنعام: ٥٩]..

ولا يعقل أن تكون الوحدة الزمنية لـ﴿**يَوْمِ الدِّينِ**﴾ الفاتحة: ٤- أو ﴿**الْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ البقرة: ٨- هى الوحدة الزمنية لـ﴿**يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾ [آل عمران: ١٥٥] أو يوم السبت، الذى تأتى فيه الحيتان ﴿**إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا**﴾ [الأعراف: ١٦٣] أو ﴿**يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ**﴾ [التوبة: ٣] أو ﴿**يَوْمُ الزِّينَةِ**﴾ [طه: ٥٩] الذى تمت فيه المواجهة بين فرعون وموسى - عليه السلام-.

فمصطلح «اليوم» -كوعاء للزمن- واحد، لكن هذا الزمن يتفاوت طولاً وقصراً باختلاف العوالم التى ورد الحديث عنها بهذا الاصطلاح.. فاليوم فى عالم الخلق الإلهى للسماوات والأرض - الذى تم فى ستة أيام- لا يعلم مقدار زمنه إلا الله.. والعلماء يجتهدون ويفترضون أن يكون زمن اليوم فى هذا الخلق يقاس بملايين السنين.. وكذلك الحال فى تدبير الله لأمر السماء والأرض والعروج إليه، أى إلى منتهى أمره ﴿**فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [السجدة: ٥].

وليس غريبًا -كذلك- أن تتميز الوحدة الزمنية لليوم فى عروج الملائكة والروح -بعالم الغيب- ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ [المعارج: ٤].

ولقد ورد -فى سورة الحج -الآية: ٤٧: ﴿**وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج: ٤٧] -مع استخدام أداة التشبيه- دلالة على تفاوت المقياس الزمنى لليوم باختلاف العوالم، مع وحدة المصطلح فى كل هذه الحالات.

فاليوم فى عالم الشهادة له مقاييس.. وفى عالم الغيب له مقاييس.. وفى عالم الأشياء له مقاييس.. وفى عالم الأرواح له مقاييس.. وعلم الكنه والحقيقة عند خالق كل شىء ومدبر كل أمر -سبحانه وتعالى-.

ومن الأمور التى أصبح متعارفًا عليها فى نطاق العلوم الطبيعية أن اليوم فى المريخ غيره فى الكواكب الأخرى.. ومن ثم غيره فى الأرض.. وأن السَّنة على كوكب الأرض غير السَّنة الضوئية.. وهكذا يتحد المصطلح مع اختلاف مضمون المصطلح باختلاف العوالم التى تُستخدم فيها المصطلحات.

●●●